نقد الأدب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي

٥٨٢ — فلم أر فيه للشراب حدوداً

في (مطمح الأنفس) للفتح صاحب (القلائد) : قال أصحاب محمد بن عيسى « قاضي قرطبة » ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس ، فعرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأزقة سكران يتمايل ، فلما رأى القاضي هابه ، وأراد الانصراف لخانته رجلاه ، فاستند إلى الحائط وأطرق ، فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول :

ألا أيها القاضي الذي عم عدله ... فأضحى به بين الأنام فريداً
قرأت كتاب الله تسعين مرة ... فلم أر فيه للشراب حدوداً

أما القضية الثانية وهي أن القصة تأثر سجعها بمادة الفكر حتى انتقلت من التفاهة إلى الجد ثم امتد ذلك إلى المقالة أو الموضوع القصير — فنحن لا نوافق الأستاذ على رأيه فيها — فما قدمناه في الرد على القضية الأولى يكفي لبيان فساد الثانية ، لأن ما كتب أولئك الأئمة في الصحف التي أشرت إليها قبل مصباح الشرق لم يكن قصصاً ، بل مقالات . والنتيجة التي لا مفر لنا من استخلاصها إذن هي أن المقالة قد تأثرت بمادة الفكر ، وانتقلت من التفاهة إلى الجد قبل القصة ، ثم شاع ذلك في القصة وفي غيرها ، فالعلوم قد أمدت أولئك الكتاب بالمادة ، وكما قال الدكتور : (كل مادة تحتاج إلى العبارة عنها ؛ فيأتي الأسلوب محملاً بتلك المادة) وهذا تسلسل منطقي مقبول ولا ريب . وبعد فقد طال المقال ، ولنا رد على رأي الدكتور في المنفلوطي وانقسام النثر إلى تيارين الآن ورأيه في نثر الإمام محمد عبده ، والأسلوب الشائع في عصره والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك ، فلنقف عند هذا الحد مكتفين فيما سبق بالإيجاز المخل ، لأن الموضوعات التي تعرضنا لها تشتمل على الثقافة في النهضة الحديثة كلها ؛ فلابد لها من البحث المستفيض ، ولكن حسبنا من الكلام فيها ما يؤدي بنا إلى الإفهام .

هذا وللدكتور مني إعجابي وتحياتي — محمد خليفة التونسي

فإن شئت أن تجلد فدونك منكباً
صبوراً على ريب الزمان جليدا[1]
وإن شئت أن تعفو تكن لك منة ... تروح بها في العالمين حميدا[2]
وإن أنت تختار الحديد فإن لي ... لساناً على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه[3] ومضى لشأنه

٥٨٣ — تبا لها ! قد كان بصري فيها ثابتاً

في الطبقات لابن سعد :

عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال : إني لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد ، فنزلت هذه الآية في سورة المائدة في الخمر . فمر عليه رجل فقال : حرمت الخمر ، وتلا عليه الآية فقال تبا لها ! قد كان بصري فيها ثابتاً

(قلت) : هذه هي الآية الكريمة العظيمة :

« يا أيها الذين آمنوا ، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »

---

(١) « أن تجلد » بسكون الدال وحقها الفتح . وفي كتاب سيبويه وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر قال :
إذا اعوججن قلت (صاحب) قوم ... بالدو أمثال السفين العوم
فاليوم (أشرب) غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل
وفي رواية للشريشي في بيت الأندلسي : فإن شئت لي جلدا

(٢) أن تعفو : مثله :
أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل
وفي هذا البيت شاهد آخر وهو حذف ضمير الشأن في (إخال) وهو المفعول الأول

(٣) في (كتاب القضاة بقرطبة) : ما أتى عن القضاة من الاغضاء عن السكارى والتغافل لهم والرفة عليهم ، فلا أعرف لذلك وجهاً يتسع لهم فيه القول ، ويقوم لهم إلا وجهاً واحداً وهو أن حد السكر من بين الحدود كلها لم ينصه الكتاب المنزل ، ولا أتى فيه حديث ثابت